بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

هدي المصطفى ﷺ مع المرأة

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي من عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير.

اعلموا أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي رسول الله، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] .

إِلهِي إِنْ يَكُن ذَنبِي عَظِيماً ... فَعَفوُكَ يَا إِلَهَ الكَونِ أَعظَمْ

فَمِمَّنْ أَرتَجِي مَولايَ عَطفاً ... وَفَضلُكَ وَاسِعٌ لِلكُلِّ مَغنَمْ

تَرَكتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ وَرَائِي ... وَجِئتُ إِلَيكَ كَي أَحظَى وَأَنعَمْ

فَعَامِلنِي بِلُطفِكَ وَاعفُ عَنِّي ... فَإِنْ تَغضَبْ فَمَنْ يَغفِر وَيَرحَمْ

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة يا الله، وعمنا جميعاً بفضلك الكبير.

اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما أعلم، كما أعوذ بك من العجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم من السلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيّ والحَصَر، أعذني ربي من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: ما زلنا وإياكم في الحديث عن تكريم الإسلام للمرأة، وعن حقوق المرأة في الإسلام، وذلك بياناً مِنَّا من شرعنا الحنيف لتلك التقليعات السيئة ولتلك الإشاعات المغرضة والأفكار الظلامية، التي يُريد أن يبثها أعداء الإسلام، ويدسونها كتعاليم بدهية في هذا الدين، والدين من التعاليم التي يذكرونها براء، ولكن الدين هو ما أذكره لحضراتكم من كتاب الله، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ولكن الدين هو ما يقوله رسول الله ﷺ دائماً وأبداً، وخصوصاً في موضعين هامين من البعثة:

الموضع الأول: في حجة الوداع، عندما نادى ﷺ، فجعلها مدوية في سماء الأمة العربية والإسلامية: ((استوصوا بالنساء خيراً)).

الموضع الثاني: عند الموت، ورأسه الشريف ﷺ في حجر السيدة عائشة، قُبض ورأسه في حضنها، وفي هذا رمز وإشارة، فصحابته كثير، وآل بيته حوله، في حجر السيدة عائشة يُقبض، ويكون آخر كلام قاله: ((عليكم بالصلاة، استوصوا بالنساء)) ثم يُقبَض ﷺ، هذا هو الدين، لا ما يقوله هؤلاء، مع تمسكنا بحجاب المرأة وفرضية حجاب المرأة، مع تمسكنا بعفة المرأة وحصانة المرأة، وبيان الاختلاط المحرم، لأن الاختلاط بالرجال نوعان: نوعٌ محرم ونوع جائز، فالمرأة كانت تكون مع الصحابة في الجيوش، تضمد الجرحى وتطعم الجيش، وكانت تعمل، وتحضر الدروس في مسجد النبي ﷺ مع رسول الله، والبخاري والمحدثون كان لهم شيخات كما كان لهم شيوخ، الاختلاط المحرم نتمسك بحرمته، نتمسك بكل ما يذهب بديننا إلى الانحلال، وإلى التفلت، وإلى الانحطاط، وإلى ضياع الأخلاق، كل هذا محرم في ديننا نتمسك به، ولكن وجب البيان عندما تصبح المرأة سلعة عند البعض، ويتغنى بأنها هذه تعاليم الإسلام، كصيحة التي أطلقوها حول جهاد النكاح، وما علاقة الجهاد بالنكاح، وما علاقة الزواج بالجهاد، وهل هذا جهاد أصلاً، وكالتقليعة التي يُنادي بها كثير من الناس في الفضائيات، وها هنا وها هنا، بأن المرأة ظُلمت في الإسلام، وقُهرت في الإسلام، وأصبحوا يُنادون بتحررها، ونقلت لكم كيف هو حال المرأة عندهم، هي ليست مكرمة عندهم، إنها سلعة ما بقي جمالها، فإذا ذهب هذا الجمال فهذه المرأة لا قيمة لها، تموت ولا يعلم الناس أنها ماتت في البيت إلا من رائحة البيت النتنة، عندما تفسخت هذه الجثة، هذه هي الحقيقة، نحن الذين كرمنا المرأة، الإسلام هو الذي كرمها، كلما كبرت في السن كلما أصبحت مكرمة أكثر، تُصبح

أماً ثم تُصبح جدة، والجميع من حولها يطلبون رضاها، ويقبلون يدها، وكلما طَعنت في السن كلما التفنا حولها وقمنا بخدمتها، هذا هو التكريم، وهذا هو الإسلام.

بغض النظر عما قلناه وهو رائع جداً، من تعامل النبي ﷺ مع المرأة، من نهيه عن ضربها، ومن فعله ﷺ وحاله، حيث تقول السيدة عائشة: (إنه لم يضرب امرأة له قط) ((يَعمد أحدكم فلعله يَجلد امرأته جلد العبد ثم يضاجعها من آخر الليل)) يَنهى عن ضرب المرأة صلى الله عيله وسلم، كان في بيته بَسَّاماً ضَحَّاكاً، كما تقول السيدة عائشة، كان يُسابقها، وكان عليه الصلاة والسلام يَقُمُّ بيته، يَكنس بيته، ويَفلي ثوبه، ينظف ثوبه، ويكون في مهنة أهله، يُعاونهم في أشياء المنزل وفي أغراض المنزل، وكان يَخصف نعله ويَحلب شاته، وكان يَخيط ثوبه ﷺ، الرسول ﷺ إذا دَخلت السيدة فاطمة كان يقوم فيقبلها بين عينيها ويجلسها مكانه، ونَصدقكم الحديث، عندما تَدخل بناتنا أحياناً ونحن في البيوت لا نَقوم، تأتي البنت وتقبل أيدينا نَحن الآباء: [كيفك بابا، بتبوس إيده، ونحن قاعدين مكاننا، أما نادراً ما يَقوم أب لابنته لما بتجي، بيقبلها ويقعدها محله] كل ما قُلناه وصل بنبينا مُحَمَّد ﷺ إلى درجة عالية من الرِّقة في التعامل مع المرأة، رِقَّة لا أقول حب، لا أقول عشق، رقة في التعامل –أيها الإخوة– لذلك تحدثك كتب السنن، وتحدثك كتب الشمائل عن النبي ﷺ، وكما يدعونها اليوم بالرومانسية، ويَقصدون بذلك بعض الأشياء بعض الأفعال اليسيرة ربما التي تعمق المحبة فيما بين الزوجين، الرومانسية يَعني هي رقة الحب في كيفية التعامل مع الناس، كانت أعلى ما تكون عند الحبيب المصطفى ﷺ، هَل تعلمون –أيها الإخوة– أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل بيته يَبدأ بالسواك، [قبل كل شي، يعني فرشاية أسنان، لماذا؟ قال لأنه يُريد أن يقبل زوجته، حتى تكون رائحة فمه جميلة] وقبل أن يخرج من المنزل دائماً يُقبل زوجته، طيب ما هذا التعامل الرقيق من النبي ﷺ.

البخاري أخرج في صحيحه عن سيدتنا أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يُقبلها وهو صائم، حتى وهو صائم ﷺ، إذاً في غير الصيام من باب أولى، وقد ورد في البخاري ومسلم وكتب السنن تقبيل النبي ﷺ لزوجاته، ربما تقول: أنقول مثل هذه الأشياء على المنبر؟ نَعم، عندما نَجهلها لا نقولها فقط من فوق المنبر، بل نَقولها في المؤتمرات إذا شئت، وفي الندوات تقولها إذا شئت، عندما نجهلها، أو عندما نَرى حال المسلمين اليوم بعيداً عنها، ولا نَتكلم عن الكل، ففيكم الخير الكثير، وهذه المعاني موجودة عند الكثير من الإخوة الحاضرين وعند الكثير من الإخوة المسلمين، ولكن هناك من يريد أن يَضلل وينشر أن هذا الدين

قهر المرأة، كيف يقهرها؟ ورسولُ الله عادةٌ مُلازمةٌ له قَبل أن يَخرج مِن المنزل يُقبل زوجته وعندما يَدخل يُقبل زوجته.

وأخرج أحمد في مسنده عن عبيد الله بن معمر، عن عائشة رضي الله عنها تقول: أهوى إلي رسول الله ﷺ لِيُقبلني، فقلت: يا رسول الله، أنا صائمة، فقال عليه الصلاة والسلام: وأنا صائم، قالت: فقبلني ﷺ. [قلها يعني الدنيا رمضان، أنت صايمة، أنا مالي صايم، وأنا صايم، ما رد عليها سيدنا الرسول، وقبلها وهو صائم ﷺ].

وقد وردت أحاديث كثيرة استدل بها الحنفية على أن مس المرأة لا يَنقض الوضوء بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَتوضأ، وقبل أن يخرج إلى الصلاة يُقبل نساءه ويُصلي بالناس إماماً ولا يتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم، وكلها أحاديث صحيحة، هذه قمة الرومانسية -أيها الإخوة- [يعني اليوم بتفتح كتب الإتكيت، بيقلك الإتكيت بين الزوج والزوجة أول ما تفوت أنك تحضنها وتعانقها وتبوسها، وقبل ما تَطلع من البيت، شو جايين عم تعلمونا، ما سيدي رسول الله ﷺ هو قائد الرومانسية ﷺ] ورقة الحب عند النبي ﷺ تكتب فيها كتب كثيرة، ما أنتم إلا مقلدون، تريدون أن تتصدقوا علينا ببضاعة مزجاة رائد ذلك كله رسول الله ﷺ، وهي في صلب ديننا، إنه الإسلام الحقيقي، إنه الإسلام الذي يُعطي لكل إنسان حقه.

ليس هذا فحسب، تَروي زوجات النبي ﷺ، ومنهن سيدتنا أم سلمة، والحديث في سنن النسائي، وفي صحيح ابن حبان، وفي مسند الإمام أحمد، وفي البخاري أيضاً، حادثتان: إحداهما مع السيدة أم سلمة، وأخرى عن السيدة عائشة.

الأولى: تقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: (كنت أغتسل مع النبي ﷺ من إناء واحد) [تغتسل مع النبي ﷺ، في جرن وفي طاسة وحدة] هكذا تقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أغتسل مع النبي في إناء واحد، يبادرني وأبادره، حتى يقول يا عائشة: دعي لي شيئاً مِن الماء [أخدتي الميات كلهن، حاجة تركيلي شوية مي] وتقول السيدة عائشة: وأقول له أحياناً: (يا رسول الله، دع لي) [أخدتنا الميات يا رسول الله، خليلنا شوية ميات بالجرن] هذا الكلام في الكتب الصحاح، يُنقل عن تعامل النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: السيدة أم سلمة تقول: (كنت أغتسل مع النبي ﷺ من إناء واحد) هذه رومانسية؟ لا هذه قمة الرومانسية. الآن يَقولون من الأشياء جميلة جداً أن تُجعل الأمور حَميمية بين الرجل وامرأته، هي أن يَغتسلا معاً [على شو عم تحاكونا] هذا ديننا، هذا رسولنا ﷺ، تتصدقون علينا بفضول هذا الكلام؟ إلى هنا وصلت درجة التكريم والتعامل مع المرأة في الإسلام.

ولعلكم تقولون أن هذا يُمكن أن يُقال في درس خاص، لَكن اسمحوا لي أن أقوله من فوق هذا المنبر، نحن بحاجة إليه، لنتعلم، ليعلمه رجالنا وأبناؤنا ونحن جميعاً، الرسول ﷺ تقول السيدة عائشة –والحديث في صحيح مسلم– [ما خلصنا لسا؟ لسانا بأول الطريق تبع الرومانسية، لذلك شدوا الأحزمة] في صحيح مسلم، عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، تقول السيدة عائشة: (كنت أشرب من الإناء، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فيَّ) [منين شربت السيدة عائشة من هذا المكان؟ لا يشرب من مكان تاني] يَشرب مِن نفس المكان الذي شَربت منه السيدة عائشة، من أجل أن يُشعرها بحبه لها صلى الله عليه وسلم، (وأتعرق العَرْق) مو العَرَقَ، اللحم عندما يكون مشوياً فيخرج منه شيء من العَرْق، لكن اسمه العَرْق، فهذا اللحم تُمسك السيدة عائشة بقطعة لحم تأكلها، تقول: فيأخذها النبي ﷺ، فيأكل من الموضع الذي أَكلت مِنه، ويضع فاه على موضع فيَّ ﷺ، [من نفس المكان، بيأكل من نفس اللحمة، المكان الذي أكلت منه السيدة عائشة يأكل منه النبي ﷺ].

أختم هذه الخطبة بهذا الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول: (رأيت النبي ﷺ يُحَوِّي لِصَفية بعباءة) يعني يسترها بعباءة، سيدتنا صفية بن حيي بن أخطب يَسترها برداءه، سيدتنا صفية كانت قصيرة القامة، وكان هذا الشيء معروفاً، والسيدة عائشة مرة غارت من سيدتنا صفية، [بتعرفوا أنتو الغيرة بين النسوان] غارت من السيدة صفية رضي الله عنها، فقالت: حسبك من صفية كذا وكذا، فأشارت بيدها، [إلى أنها هالقد، قصيرة، قالتو: هالقدوا طولها، شو حابب فيها، هالقد طولها] حسبك من صفية كذا وكذا، تعني قصيرة، فتلون وجه النبي ﷺ، وتغير وجهه، قال: ((يا عائشة، لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)) الله أكبر، ماء البحر أولاً لا يُنتن، ولا يتغير لونه ولا طعمه ولا رائحته، لأن فيه ملحاً ومُعقماً، الله أكبر، هذا الكلمة تُغير البحر؟ [كلمة، شو قالتلو؟ قصيرة، لكن ما يجي يسمع سيدنا الرسول ﷺ الغيبة بين الرجال عن بعضهم على بعض، والنساء بعضهم على بعض] ((يا عائشة: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)) [وهي قالتلو قصيرة، ما قالو شي، عم

تحكي واقع] لكن بغيابها اعتبرها الرسول غيبة، لأنها أرادت الانتقاص من السيدة صفية ﵂، فغضب النبي ﷺ، فكانت سيدتنا صفية قصيرة، كَيف تركَب على الفرس؟ وكيف تركب على الناقة؟ [قولوا الناقة بتنزل عالأرض بتركب عليها، بس الفرس كيف بدها تركب عليها وهي قصيرة، شو بتتوقعوا سيدنا الرسول يساوي حتى تركب السيدة صفية؟ يحملها ويحطها يزتها هيك مثلاً عالفرس؟ شُو بتتوقعوا؟] الحديث في صحيح البخاري عن سيدنا أنس بن مالك، كيف كانت تركب صفية على البعير؟ يقول سيدنا أنس: (رأيت النبي ﷺ يُحَوِّي لصفية وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته، فتضع صفية رضي الله تعالى عنها رجلها على ركبة النبي ﷺ، وتنهض حتى تركب) [تصورتوها الصورة؟ بيعقد سيدنا الرسول ﷺ، بيعقد على الأرض قدام البعير، وبيرفع ركبتو، فتجي السيدة صفية بتحط رجلها هون وبتطلع، بتنط بتركب عالبعير] يعني رسول الله ﷺ لم يكن قادراً على أن يحملها ويُركبها على البعير، طيب لماذا هذه الهيئة، [أنو يجلس على هذه الهيئة، بيعقد قدام البعير فيرفع لها ركبته ﷺ، منشان تجي تحط رجلها، وين على ركبة سيد الخلق مُحَمَّد النبي ﷺ، لتركب على البعير].

يا إخواننا: هذا الدين علّمنا الكثير، ولكننا نحن الذين ابتعدنا عن هذا الدين، هذه الأشياء التي نرويها عن النبي ﷺ هي أشياء واقعية في أصح الأحاديث عن النبي ﷺ، وليست قِصصاً تُروى، وليست قصصاً نتغنى بها من الخيالية، ومن الدولة الحالمة التي كان يحلم بها أفلاطون، إنه فعل واقعي، حياة واقعية، كان يعيشها رسول الله ﷺ مع الناس كل الناس.

نسأل الله عز وجل أن نكون قد أوصلنا إلى حضراتكم جزءاً من تكريم الإنسان للمرأة، لأننا إن شاء الله سننتقل إلى أحاديث أُخرى في خُطب قادمة، وكما قلت: لا يعني كل هذا التكريم للمرأة أن نتنازل عن حقوقها، أو أن تتنازل عن واجباتها، الحجاب فرض، الستر فرض، الاختلاط المحرم حرام لا يجوز، التفلت لا يجوز، الانحلال الخلقي لا يجوز، المتابعة الحثيثة لبناتنا يَجب أن تبقى كما هي، ولكننا نتكلم عن تكريم المرأة، وعن المفاسد، وعن التقليعات والادعاءات التي يَدعيها أعداء الإسلام على الإسلام في ظلم المرأة وحرمانها من حقوقها.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، استغفروا الله يَغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

بتصرف